سلسلة تحريف وانتحال

الهدي النبوي - الإصدار ٢

وقولوا للناس حسنا

سند SANAD

Ar

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين
قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ .[1]

وحدة القيم والأخلاق

الخُلُق: حالة رَاسِخَةٌ في النفس تصدر عنها الأفعالُ والأقوال بدون فكر و رويّة.
الخلق الحسن قيمة إنسانية دعت إليها جميع الشرائع السماوية...
حُسْن الخلق وصف متعلق بالفطرة الإنسانية...
المبادئ والقيم ثابتة لا تقبل التجزؤ ولا التحيُّز ولا العنصرية ...

إذا كان الأمر كذلك فلم هذه الأسطر؟

إن ما نعانيه اليوم من تدهور أخلاقي خطير في منظومة الأخلاق التي دعت اليها الشرائع السماوية واختلال نفسي في ميزان وصف الخُلق المتعلق بالفطرة الإنسانية ، الذي لا يعرف التحيُّز ولا العنصرية في أحكامه ، أدى إلى وجود خلل في ثبات قيمة القول والفعل الحسن في كيان الأمة أفراداً وجماعات ، فكل ذلك يدعو إلى الوقوف والإجابة عن عدة أسئلة مهمة تتعلق بالآية السابقة .

- هل الخطاب في الآية خاص ببني إسرائيل كما يدّعي البعض أم أنه يشمل هذه الأمة؟ وهل نسخته آية السيف كما يزعم البعض الآخر أم أنه مُحْكَم؟
- من المقصود بالناس في الآية؟
- ما المقصود بحُسْنِ القول في الآية؟
- ما صلة الأمر بالقول الحسن بالتعاليم الواردة في نفس الآية؟

١ سورة البقرة : ٨٣

من المخاطب في الآية ؟

يُظهر سياق الآية جليًا أنَّ التعاليم التي في الآية ثبت توجيهها إلينا في الشريعة الإسلامية ، فقد أمرنا الله بتوحيده وبالإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين وبالصلاة والزكاة ، وجاء الأمر بحسن القول لجميع الناس في وسط هذه التعاليم ، فكيف يُستساغ استثناء هذا الأمر من بينها باعتبار أنه خاص ببني إسرائيل؟

فلا يُتصور اعتبار الأمر بحسن الخلق شرعًا خاصًا ببني إسرائيل ، ولا يكون في شريعة الإسلام السمحة الخاتمة للشرائع . كما أنه لا يمكن اعتبار الأخلاق والقيم محلاً للنسخ أو التغيير وهي من ثوابت الفطرة السليمة ، لا سيما أن النبيَّ ﷺ قد قال : «إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاق» .[٢]

هذا وقد أورد الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير والإمام ابن حيان الأندلسي في البحر المحيط أدلة من القرآن تؤكد شمول الأمة المحمدية بهذه التعاليم السامية وبقائها دون نسخ ، إذ قالا : "وزعم أبو جعفر محمد بن علي الباقر أن هذا العموم باق على ظاهره وأنه لا حاجة إلى التخصيص ، وهذا هو الأقوى ، والدليل عليه[٣] ؛ أنَّ موسى وهارون مع جلال منصبهما أُمِرا بالرفق واللين مع فرعون ، وكذلك نبينا محمد ﷺ مأمور بالرفق وترك الغلظة و قول الله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ ،[٤] وقوله : ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ،[٥] وقوله : ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ ،[٦] وقوله : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٧]

وقال ابن عجيبة في تفسيره : «كل عهد أُخذ على بني إسرائيل يُؤخذ مثله على الأمة المحمدية ، وهذا حكمة ذكر قصصهم لنا ، وسرد مساوئهم علينا لنتحرز من الوقوع فيما وقعوا فيه ، فنهلك كما هلكوا» .[٨]

لا يمكن اعتبار الأخلاق والقيم محلاً للنسخ أوالتغيير وهي من ثوابت الفطرة السليمة

٢ مسند البزار ١٥/٣٦٤ وفي رواية «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ»
٣ تفسير الرازي و تفسير البحر المحيط لابن حيان
٤ سورة النحل : ١٢٥
٥ سورة الأنعام : ١٠٨
٦ سورة الفرقان : ٧٢
٧ سورة الأعراف : ١٩٩
٨ تفسير ابن عجيبة

يعتمد جمهور المفسرين القول بأنَّ هذه التعاليم تشمل الأمة المحمدية وأنها باقية ولم تُنسخ على الرغم من نقلهم بعض المرويات التي تقول بخلاف ذلك .

وقال الألوسي في تفسيره : «ومن قال : إن المخاطب به الأمة ، وهو محكم ، أو منسوخ بآية السيف ، أو إن (الناس) مخصوص بصالحي المؤمنين ، إذ لا يكون القول الحسن مع الكفار والفساق ، لأنا أمرنا بلعنهم ، وذمهم ، ومحاربتهم ، فقد أبعد» .[٩]

من المقصود بالناس في الآية؟

جاءت الآية الكريمة مخبرة عن ميثاق عام أخذه الله على بني إسرائيل ، وقد سبق أن أنكر الله على طائفة منهم حين جعلوا الالتزام بالقيم مشوبًا بالعنصرية ، فيكون الالتزام بالقيم واجبًا حين يكون التعامل مع بني جنسهم ، ويُسوَّغ لديهم انتهاكُها عند التعامل مع الآخرين من غيرهم ، فقال جل وعلا في ذلك ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[١٠]

فكيف يُستساغ أن يأخذ الله عليهم ميثاقًا يمكن أن يُفهم منه قبول هذا النوع من التحيّز في القيم والأخلاق؟

فيتضح من هذا أن المقصود في الآية هو عموم الناس وأن المبادئ والقيم لا تعرف العنصرية . والقائلون إن الأمر الإلهي هنا يشمل جميع الناس هم :

الإمام علي بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، والإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ، وعطاء بن أبي رباح ، كما نقل ذلك عنهم الحافظ السيوطي في الدر المنثور وهو ما ذهب إليه كل من شيخ المفسرين ابن جرير والإمام الفخر الرازي والحافظ ابن كثير والإمام ابن حيان الأندلسي والإمام القرطبي والإمام الماوردي والإمام الصاوي والإمام البروسوي والإمام البقاعي والطاهر بن عاشور في تفسيرهم للقرآن العظيم .

٩ تفسير روح المعاني للألوسي
١٠ (٧٥-٧٦) آل عمران

وما أحوجنا إلى تأمل عبارة الإمام القرطبي في تفسيره للآية[11] حيث قال : «فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لَينًا ، ووجهه منبسطًا طَلْقًا مع البَرّ والفاجر ، والسُّني والمبتدع ، من غير مداهنة» .

إذًا ، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ تشمل عموم الناس .

ما المقصود بالحُسْنِ في الآية؟

الواضح من السياق في الآية عموم الحسن وشموله لكل ما يمكن أن يكون حسنًا ، دون تخصيصه بجزء دون آخر لأن ما سبق هذا الأمر كان به تخصيص لأنواع من المعاملة الحسنة التي تشمل القول والفعل كالإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين فلا يستقيم أن يأتي بعد ذلك أمر عام يُقصد به أمر خاص . وقد جاءت روايات عن سيدنا عبد الله بن عباس تخصص المعنى ، ومع ذلك فقد نبه الحافظ ابن كثير في تفسيره على أن تفسير البعض معنى « الحُسن» هنا بتفسيرات خاصة لا يُلغي عموم المعنى بل يندرج ضمنه فقال : «أي كلموهم طيبًا ولينوا لهم جانبًا» ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ، فالحُسْن من القول ؛ يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحلم ويعفو ويصفح ، ويقول للناس حسنًا ؛ كما قال الله ، وهو كل خُلُقٍ حَسن رَضِيَه الله .

ونُقل عن الإمام محمد الباقر ما يفيد تأكيد ارتباط المعنى في الآية بمفهوم عدالة المبادئ ، وهو قوله : «كلموهم بما تحبون أنْ يقولوا لكم» .[12]

وقد كان بعض السلف يُلقي السلام على غير المسلمين من أهل الكتاب ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الله تعالى يقول : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وهو السلام .[13]

إذًا ، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ تشمل عموم القول الحسن وليست مقتصرة على نوع منه .

قال الأحنف بن قيس: " ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا بلى. قال: الخُلق الدنيُّ واللسان البذيء"

١١ –سورة البقرة اية ٨٣ تفسير القرطبي
١٢ تفسير زاد المسير لابن الجوزي
١٣ تفسير ابن كثير

حسن ظاهر وباطن

والإحسان بالقول هو القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به ، ثم إنه لابد أن يكون هذا الإحسان نابعًا من اعتقاد القلب بما ينطق به اللسان وليس مجرد المجاملة اللفظية ، فالمسلم إذا قال للناس حُسنًا فقد أضمر لهم خيرًا وذلك أصل حسن المعاملة مع الخلق[١٤] ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .[١٥] ولمَّا لم يكن وُسع جميع الناس بالإحسان بالفعل ممكنًا أمر الله بجعل ذلك بالقول ، فقال ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ . فإذا عجز الإنسان عن مساعدة كل الناس فعلياً ، فلا ينبغي أن يبخل عليهم بحسن المعاملة والقول الحسن وبذل النصيحة .[١٦]

ما صلة هذا الأمر ببقية التعاليم الواردة في نفس الآية؟

تأمل معي أخي الكريم سياق الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ .[١٧]

فقد شملت الآية أخذ الميثاق والعهد على بني إسرائيل في عدة أمور:

- توحيد الله بالعبودية .
- الإحسان القولي والعملي مع (الوالدين فالأقارب فالأيتام فالمساكين) .
- القول الحسن لكل النَّاس .
- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

ثم عاب على الأكثر منهم إعراضهم عن الالتزام بالميثاق .

١٤ تفسير الطاهر بن عاشور
١٥ صحيح البخاري باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، صحيح مسلم باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير .
١٦ تفسير البقاعي
١٧ سورة البقرة : ٨٣

ونلاحظ عظمة الخطاب في الآية من جوانب عدة:

- جمع التوجيه الإلهي هنا بين الإحسان الفعلي والقولي.[١٨]
- قدم الله إحسان القول والفعل على الصلاة والزكاة مع أنهما من أهم الفرائض بل هما من أركان الإسلام! فدل على أن الإحسان هو الأصل في كل المعاملات المأمور بها من الرب جل جلاله .

الخلاصة

اتضح من قول الله تعالى ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أنّ الآية :

- تشمل جميع الناس ، وليست خاصة بمخاطبة الصالحين أو المؤمنين .
- تضم معاني الإحسان ، وليست مقتصرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ثابتة في الشريعة الإسلامية ، وليست خاصة ببني إسرائيل .
- محكمة باقية ، وليست منسوخة .

سلسلة تحريف وانتحال

قال رسول الله صلى عليه وآله وسلم (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1]

فهم بعض أصحاب الأفكار الخاطئة كلام الله سبحانه وتعالى وكلام نبيه ﷺ بصورة لا تتسق مع المنهج العلمي الموروث عن السلف الصالح ، ولا تتناغم مع المقاصد والقيم الكبرى للوحي الإلهي .

وقصدوا بعض آيات القران الكريم التي نزلت في غير المسلمين فأنزلوها بالمسلمين وتناولوا آيات وردت على سبيل الاستثناء فجعلوا منها أحكاماً عامة وحرفوا معاني كلام الله وأحاديث نبيه الكريم بصورة أدت إلى رسوخ أو (تكوُّن)مفاهيم في عقول عامة المسلمين خاطئة فادحة ، نتج عنها سلوكيات وأفعال لا صلة لها بدين الإسلام الحنيف .

نتعرّف ضمن هذه السلسلة على ما وقع فيه أصحاب هذه الأفكار الخاطئة من تحريفٍ لمعاني كلام الله وكلام رسوله ، وضلالٍ في بعض الأحكام الشرعية ، وتبنٍّ لمفاهيم مغلوطة ، بما جعلهم منفصلين عن مراد الله ورسوله وفهم السلف الصالح .

١ – حديث مشهور صححه ابن عبد البر ، وروي عن أحمد بن حنبل ؛ أنه قال : هو حديث صحيح .

دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH
PUBLICATION & DISTRIBUTION

سند
SANAD

www.sanad.network
twitter: @sanadnetwork
facebook.com/sanadnetwork
youtube.com/sanadnetwork
instagram.com/sanadnetwork